لقاءات الصَّلاة

(اللقاء الرابع)

أ. أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الرابع من سلسلة لقاءات الصلاة.

ونفتتح لقاءنا بمناقشة آيةٍ عظيمةٍ تدلُّنا على الطريق للخشوع، وهذه الآية وردت في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1]، والمعنى في هذه الآية عظيم

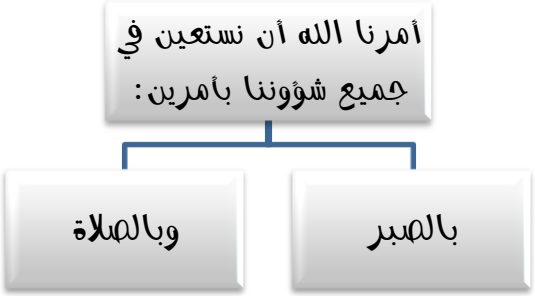

وخُصَّت الصلاة بالذِّكر من بين سائر العبادات: لِما لها من أهمية، وَدليل على مكانتها.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمْر فزِع إ لى الصلاة.

ومنه ما رُوي عن عبدالله بن عباس أنَّه نُعي إليه أخوه -وقيل: أنَّه نُعي إليه بنت له- وهو في سفر، فاسترجع وقال: عورةٌ سترها الله، ومؤونةٌ كفاها الله، وأجرٌ ساقه الله، ثم تنحَّى عن الطريق وصلى، ثم انصرف إلى راحلته و هو يقرأ : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾.

- وهذه الصلاة لها تأثير عجيب في الإعانة إن كانت من الخاشعين.
- والصلاة يحصل بها ما ينبغي، فالصبر يُزال به ما لا ينبغي.

[1] البقرة : ٤٥-٤٦

❖ وفي الصلاة وصول إلى الله ووقوف بين يديه. وهذا أمرٌ عظيمٌ لا يشعر به إلا الخاشعين: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ والمعنى: لشاقَّة ثقيلة، تكبُر عليهم إلا على الخاشعين، فإذا كانت ثقيلة على الخلق كلِّهم فهي سهلةٌ على الخاشعين، بمعنى: أنَّ الخاشِع يستعمل عند صلاته جوارحه وقلبه وسمعه وبصره، ولا يغفل عن تدبُّر الذِّكر الذي يقوله. ويقع منه التذلُّل والخضوع، وإذا تذكَّر الوعيد وقع في قلبه الحسرة والغم، وإذا ذكر الوعد اشتاق قلبه.

❖ **فإذن معناه أنَّ هذه الصلاة عظيمة عند الخاشع، عظيمة تحتاج منه جهد فكيف لا تكون ثقيلة؟**

- الذي خفَّفَها ثوابها.
- الذي خفَّفَها ماوراءها من اعتقاد الصلة بالله.
- الذي خفَّفَها الخشوع.

وسنرى الآن كيف تكون خفيفة بما يحمله الإنسان من اعتقاد؟

مَن الذين ستكون الصلاة عليهم خفيفة وليست ثقيلة؟ **الخاشعون**.

هؤلاء الخاشعون ماذا يظنون؟ **هذا هو الأمر العظيم أنَّهم يعتقدون ملاقاة ربِّهم**، يعتقدون يقينًا أنَّهم ملاقوا ربِّهم فيُجازيهم بأعمالهم وأنَّهم إليه راجعون؛ فهذا هو الذي خفَّف عليهم العبادات وَأوجب لهم النشاط، هذا الذي اعتقدوه من لِقاء الله في اليوم الآخر هو الذي يسَّر عليهم تمام التيسير صلاتهم. أما مَن لم يؤمن بلقاء الله ولا يُفكِّر فيه ولا يعتني به، فإنَّ العبادات تكون شاقَّة عليه، خصوصًا الصلاة، خصوصًا الخشوع في الصلاة.

فإذن خرجنا من الآية بأمر غاية في الأهمية يفيدنا في موضوع الخشوع:

وهو أنَّ مَنْ مَنَّ الله عليه بذِكْر الدَّار الآخرة وتيقَّن بلقاء الله وتفطَّن لمحاب الله، وقف في الصلاة خاشعًا.

فهما موقفان عظيمان يقفهما العبد بين يدي الله، **أحدهما** في هذه الحياة الدنيا **والآخر** يوم يلقى الله. فمن اعتقد أنَّه سيلقى الله، من تيقَّن باللقاء، عمل له فأصلح اللِّقاء الأول.

إذن من وقف في الصلاة وقوف الذَّليل الخاشِع، كان هذا سبب لصلاح وقوفه بين يدي الله، ومما يدلُّ على ذلك، الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ

بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ))[1] فيا الله! إنَّه شأن عظيم، من ضيَّع هذه الصلاة واستهان بها، حَكَم على نفسه بالخسران يوم يلقى الله، وفي ذلك الموقف يحصل النَّدم يوم لا ينفع النَّدم.

ولقد مرَّ معنا الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: ((مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ))[2] . وقد تبيَّن لنا لماذا يحشر مع هؤلاء، وما الشأن في هؤلاء خاصة.

❖ **إنَّ الإيمان باليوم الآخر سببٌ عظيمٌ من أسباب الخشوع في الصلاة**، فمن أعاد على نفسه هذه الحقيقة وأزاد بأن يتعلم من نصوص الكتاب والسنة ما يدله على أحوال الناس في ذاك اليوم، وكيف أنَّ كل سؤال عن خيبة ولماذا خابت آمالهم فإنَّما يكون بسبب تركهم للصلاة، وكل سؤال عن فلاح وصلاح وسببِه يكون وراؤه حُسن العناية بالصلاة.

❖ ومن العجب أن تكون الصلاة مما كُرِّر الأمر به في القرآن ثم نرى نفسنا قد أهملنا هذا الأمر: والله عزَّ وجلَّ يقول كما في سورة الأنعام: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[3] ، أي (يعني) **ذكرى لقاء الله سببٌ لحسن الصلاة وسببٌ للتقوى.**

❖ كل مدحٍ في القرآن لأولياء الله لابدَّ أن تجد فيه إشارةٌ وذكرٌ للصلاة، ففي الأعراف لما يذكر الله أولئك الخلف الذين أتوا وَورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ذكر: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ

[1] "سنن الترمذي" (كِتَاب الصَّلَاةِ/بَاب مَا جَاءَ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ/٤١٣) ، "سنن النسائي" (كتاب الصلاة/باب المحاسبة على الصلاة/٤٦٥)

[2] "مسند أحمد" (مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ /ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة/٦٥٤٠)، "سنن الدارمي" (كتاب الرقاق/ باب فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ/٢٧٢١)

[3] الأنعام : ٧٢

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾[1]، فمعنى هذا **أنَّ يوم القيامة أجور هؤلاء المصلحين الذين أقاموا الصَّلاة ستكون وافرة**. وهذا من نعمة الله على خلقه أن جعل الأمور يجرُّ بعضُها بعض.

فمن آمن بلقاء الله، استعدّ للقاه.

ومن علِم عظمة الوقوف بين يدي الله يوم القيامة، عظَّم الوقوف بين يدي الله هنا في الصلاة.

فيكون معنى هذا أنَّ من أهم أسباب الخشوع في الصلاة :

- تذكير النَّفس بلقاء الله.
- وتقوية الإيمان باليوم الآخر.
- والتعرُّف على أحوال الناس يوم الحشر: (من القوم الذين تبيَّض وجوههم؟ ومن هم الذين تسودُّ وجوههم؟ ومن سيكون قريب ومن سيكون بعيد؟).

❖ وفي هذا الموقف العظيم –موقف يوم القيامة–، الذي يكون فيه تمام المنَّة وأكمل النِّعمة أن يروا العباد ربهم سيكون الشأن أيضًا للصلاة؛ فنسمع الحديث الذي يُخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيه عن الرؤيا، هذا الأمر العظيم، ونرى كيف يكون صلته بالصلاة. في الحديث عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ))[2] .

كم هو موقف عظيم، حريٌّ بنا أن نعتني به، حريٌّ أن نخاف من الخسران والحرمان، لكن ما الطريق؟

[1] الأعراف : ١٧٠

[2] "صحيح مسلم" (كِتَاب الْإِيمَانِ/جنتان من فضة آنيتهما/٢٦٦).

الطريق ورد في الحديث عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: ((أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فافعلوا))[1]، والمقصود هنا العصر والفجر. فهذه الصلوات كثيرًا ما تُهمل عند الناس، فالمحافظة عليها رمز للمحافظة على الصلاة عمومًا، والذي يُحافظ على صلاته يكون أهلًا لأن يرى ربَّه. فالصحابة لما سمعوا ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ))، من المؤكد أنَّهم اشتاقت نفوسهم للعمل الذي وصلهم لهذا الأجر، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ العمل هو الصلاة، فقال: ((فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فافعلوا))،وفي هذا إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى أنَّ رؤية الله عز وجل يوم القيامة لا تُنال بمجرد الأماني: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2]، لابدَّ من عملٍ واجتهاد؛ وهنا العمل أن تعتني بالصلاة خصوصًا صلاة الفجر و صلاة العصر، فإنَّ ما يكون من العبد في **الفجر**، غالبًا مايكون سببًا للتوفيق فيما بعده إن أحسن. **والعصر** وقت يكثر فيه الإهمال، ولذلك اسمع ماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((أَنْ لَا تُغْلَبُوا)) إشارة إلى أنَّ في الدنيا أمور كثيرة تغالب الإنسان فتضعف محافظته على الصلاة.

والصَّوارف ما أكثرها! وزينة الحياة ما أتفهها.

وكثيرًا ما يُعظِّم الشَّيطان للإنسان الدنيا في صورة نوم، أو الدنيا في صورة شيء يتابعه أو يراه، أو شيء يقرؤه ويشدّه؛ فالشيطان ليس له صورة واحدة بها يغري بني آدم، إنما يُزيِّن للإنسان أمورًا ليست ذات بال، ينقطع الحرص عليها لو كان في وقت غير وقت الصلاة، ولا تجد النَّفس نشاطًا لها لو كان في وقت غير وقت الصلاة. خطر عظيم!

فالمطلوب:

- تذكير النَّفس دائمًا بلقاء الله، بموقف يوم القيامة.
- اجتهد! من أحسن هنا أُحسِن إليه هناك.
- من عَبَدَ الله كأنَّه يراه هنا، فإنه سيراه في الحقيقة في جنَّات النعيم.

[1] "صحيح مسلم" (كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون/١٠٠٢).

[2] النساء : ١٢٣

- من صلى وهو معتقد أنَّ الله يُكلِّمه، فيقول له: حَمَدَني عبدي أثْنى عليَّ عبدي، مَجَّدَني عبدي، هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. من شعر أنَّ الله يُكَلِّمه حسُن موقفه بين يدي الله وكلامه معه.

إننا سنلقى الله جميعًا، يُكلِّمنا الله مابيننا وبينه ترجمان، فكيف الاستعداد لذاك اليوم؟ إلَّا بأن نكلِّمه هنا ونعتني بالصلاة وبالخشوع فيها.

وعلى ذلك سيكون **الخشوع هو حضور القلب في كل كلمة تقولها وفي كل حركة تقوم بها في الصلاة، وسبب هذا الخشوع –كما اتفقنا في لقائنا– المؤدي له هو ذكرى الدار الآخرة**؛ ولتكون الدار الآخرة على بالنا من الواجب علينا أن ننظر في القرآن، فنقرأ أحوال الناس من لحظة قبضهم إلى أن يلقوا ربهم، وكيف يفترقون؟ وكيف يكون هنا الملائكة تُبشِّر وهنا الملائكة تضربهم على وجوههم وأدبارهم؟ كيف يوم القيامة تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه؟

تقرأ في القرآن هذه الأخبار وتقرأها في السنة، فتتعلَّم من السُّنَّة ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن لقاء الله، ومن اعتنى بذكرى الدار الآخرة، لابدَّ أن يجد في قلبه اندفاعًا للحرص على الصلاة.

أسأل الله بمنِّه وكرمه أن يجعلنا من الخاشعين الصادقين المتقربين إلى ربهم بالصلاة، المحسنين فيها منتظرين أن يُحسَن إلينا يوم أن نلقاه.

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.